

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية



الملتقى الرابع للتأصيل المعرفي

ورقة:

## ريادة السودان في مجال التأصيل المعرفي ( قراءة في مساهمة ثلاثة رواد )

د. محمد خليفة صديق

إدارة تأصيل المعرفة – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

20-19 ذو القعدة 1437 هـ . 22-23 أغسطس 2016م

قاعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

## المقدمة

تعد حركة التأصيل المعرفي أو إسلام العلوم من التطورات العلمية المهمة في حركة الأمة الإسلامية وهي تسعى نحو التطور في مسيرتها وسعيها نحو النهوض والريادة والشهادة على الناس، وحركة التأصيل الإسلامي للعلوم فيها أدبيات كثيرة ومتنوعة، كل منها حاول أن يقدم شيئاً يعين على نهضة الأمة ورفعتها، وتتفق معظم الكتابات حول موضوع التأصيل على عدم القطيعة مع الفكر المعاصر، واستلهاً للحكمة الإنسانية من أي وعاء صدرت، مما جعل التجربة تتطور وتزدهر، وتظهر ثمراتها وآثارها في صور متعددة أكاديمية وبحثية وحتى شعبية قاعدية .

كما شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين اهتماماً ملحوظاً بقضايا تأصيل المعرفة من قبل بعض مؤسسات التعليم العالي في السودان خاصة الجامعات ومراكز البحث العلمي، وانعكس ذلك الاهتمام في جملة من التدابير تمثل بعضها في تأسيس مساقات دراسية على مستوى الدراسات الجامعية وفوق الجامعية، وتمثل البعض الآخر في تأسيس برامج دراسات عليا على مستوى الماجستير والدكتوراه، يضاف إلى ذلك مستويات أخرى من الاهتمام مثل عقد المنتديات العلمية والمناشط الموجهة لأغراض نشر ثقافة الأسلمة والتأصيل والتبشير بهما في مختلف المنابر والمنتديات العامة الموجهة لتركية المجتمع كالمواسم الثقافية والمحاضرات العامة والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والمقالات الصحفية وغيرها .

ومعلوم أن العلوم الحديثة عامة والعلوم الاجتماعية خاصة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل عقول شباب العالم الإسلامي من خلال نظرياتها ومناهجها البحثية، ومن خلال المناهج والمقررات المنقولة من الدول غير الإسلامية، وباستخدام المراجع والكتب الجامعية المعتمدة، والتي تعكس في غالب الأحوال رؤية للوجود قد تكون متناقضة في جوانب أساسية منها مع التصور الإسلامي للإنسان والكون والوجود، لذا كان السعي لإصلاح كل المعارف التي تندرج في نطاق كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، إلا أن دلالة ذلك بالنسبة للعلوم الطبيعية تختلف كثيراً عنها بالنسبة للعلوم الاجتماعية، ففي حين تتصرف جهود التأصيل للعلوم في نطاق العلوم

الطبيعية إلى إصلاح الأطر التصورية وتوجيه التطبيقات العملية، فإن دلالتها بالنسبة للعلوم الاجتماعية لا تتوقف عند هذه الجوانب وحدها، وإنما تتصرف إلى إصلاح المنهج برمته. يناقش هذا البحث بعضاً من مساهمة ثلاثة رواد سودانيين في مجال التأصيل وإسلامية المعرفة من خلال ثلاثة مباحث، حيث يسعى البحث فيما يسعى لتوكيد ريادة السودان في هذا المجال، حيث سيوضح البحث أن أول من استعمل مصطلح أسلمة العلوم كان سودانياً، كما سيبين البحث الريادة السودانية في مجال التأصيل المؤسسي وأبحاث التأصيل علمياً وعملياً، والتميز السوداني في مجال تأصيل العلوم الطبيعية تحديداً.

## المبحث الأول

## ريادة التأصيل المؤسسي

### جهود البروفسور أحمد علي الإمام (رحمه الله)

بروفسور أحمد علي الإمام من فقهاء العصر، وهو الرئيس السابق لمجمع الفقه الإسلامي، ومستشار رئيس الجمهورية لشؤون التأصيل لسنوات عديدة، ونائب رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء، ومدير جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الأسبق، تلقى الإمام تعليمه في المرحلة الابتدائية بمعهد دنقلا العلمي، وتلقى تعليمه الثانوي في معهد أم درمان العلمي، وتخرج في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1974، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبرة بالمملكة المتحدة، في علوم القرآن، مع عناية خاصة بنقد أعمال المستشرقين في لغويات وتاريخ القرآن (1984م).

عمل بالتدريس في الكلية الإسلامية في زنجبار بـتنزانيا، وحقل الدعوة الإسلامية بشرق إفريقيا (1974 - 1978م)، ثم عمل محاضراً بجامعة أم درمان الإسلامية منذ 1979م، ثم انتقل للعمل لفترة محاضراً بجامعة أدنبرة، ثم عمل مديراً للمركز الإسلامي بأدنبرة، ورئيساً لاتحاد الطلاب المسلمين في جامعات أدنبرا، ثم كان رئيساً لاتحاد طلاب الدراسات العليا في جامعة أدنبرا، كما شغل منصب الأمين العام لهيئة علماء السودان، ثم عمل مديراً لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان، ثم مستشاراً لرئيس الجمهورية لشؤون التأصيل، ثم شغل منصب رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني، حتى وفاته رحمه الله في 30 من أكتوبر للعام 2012.

للأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام رحمه الله العديد من الدراسات والبحوث العلمية باللغتين العربية والإنجليزية منها ما هو منشور أصدرته بعض دور النشر وبعضها مازال مخطوطاً تتصل كلها بالفقه الإسلامي وعلوم القرآن والدراسات الإسلامية، منها: تطبيق الشريعة الإسلامية وأثره في إصلاح المجتمع، وتطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمع متعدد الملل والثقافات، وكتاب المستقبل للإسلام الذي صدر ضمن سلسلة كتاب الأمة، وتفسيره الشهير: مفاتيح فهم القرآن، وكتاب الصحبة والصحابة، وكتاب من حديث الهجرة: أنفاس طاهرة من

لطائف السيرة النبوية، وكتاب الخلوة والعودة الحلوة، بجانب الكثير من الدراسات والأوراق العلمية .

عُرف عنه رحمه الله تفانيه في خدمة العلم والعلماء مثابراً بلا كلل، وقدم ما يملك من معرفة ووقت في محافل للتعليم والتوعية؛ حيث ظل مشاركاً في المنابر والمنتديات داخل السودان وخارجه ومنافحاً عن الدين وثوابته وتراثه وقيمه الرفيعة ، وكان رمزاً من الرموز في المجالس العلمية والعالمية.

تميز بروفسور الإمام برؤية ثاقبة في أمر التأصيل، حيث وضع رحمه الله عدداً من المطلوبات، يرى أنها ضرورية لأي جهد في مجال التأصيل، وهي: (1)

• أن يكون شاملاً يستوعب نشاط الدولة وحركة المجتمع كليهما، وأن يبتنظم مناهج الحياة جميعها.

• أن يمتد إلى منظومة القوانين والنظم والسياسات والخطط بأكملها.

• أن يعتمد الاجتهاد الجماعي في الاستدلال والاستنباط.

• أن يجري المقاصد والأحكام على مستجدات العصر ومتغيرات الحياة وبمواكبة دائمة.

• أن تكون له مؤسساته المعتمدة، وهي تعمل وفق إشراف عام ينسق جهودها وينظم علاقاتها.

ويرى رحمه الله ضرورة التخطيط الشامل للتأصيل، باعتباره يستهدف تحقيق المقاصد العليا للتأصيل من إقامة مناهج الحياة على أصول الأمة، لإنتاج حضارة قيمة تجمع بين معطيات العلم المادي ومرجعيات العلم الديني في سياق حضاري واحد.

وقد وضع رحمه الله خطة خاصة للتأصيل إبان عمله مستشاراً لشؤون التأصيل، تقوم على:

1. استكمال الجهود العلمية في حركة التأصيل.

2. التنسيق بين المؤسسات العاملة في حقل التأصيل..

3. تنظيم الملتقيات العلمية المشتركة لخدمة أغراض الاستكمال والتنسيق في حقل

(1) أحمد علي الإمام، التأصيل ومناهج الإصلاح والتزكية، ورقة قدمت في ندوة تقويم مسيرة وتطبيقات التأصيل الإسلامي في السودان، مركز التنوير المعرفي، الخرطوم، 2005م.

## التأصيل..

4. إصدار الأعمال التأصيلية النموذجية..

5. التصاعد بحركة التأصيل نحو مؤتمر قومي جامع للتأصيل بهدف تقويم التجربة وتسديد الأداء، وتشكيل آلية فاعلة للمتابعة والمراجعة..

يرى بروفيسور الإمام رحمه الله أن حركة التأصيل الشاملة في السودان برزت آثارها كعمل فكري وتطبيقي في تأصيل القوانين، وتأصيل النشاط الاقتصادي، وهما الحقلان اللذان كان يقع فيهما التخليط بين ما هو علماني المرجعيات وما هو أصلي يرجع إلى أصول ديننا في الكتاب والسنة، ثم توالى الإصدارات والملتقيات، وهي تجتهد في دفع حركة التأصيل.. وقامت في الدولة مؤسسات تأصيلية، ونشأت في المجتمع منظمات مشغولة بالتأصيل يجري بينها تنسيق الجهود العلمية. ثم جاءت ثورة التعليم- العام والعالي، وهي تتجه إلى تأصيل المعارف والبحوث، ونشطت حركة التعريب كأحد روافد التأصيل، ودخلت الثقافة الإسلامية كأحد مناهج التعليم الجامعي والمطلوبات الجامعية..

ويشير الإمام لنشوء مفهوم تأصيلي للسياسة في العمل السياسي من حيث هي إدارة الشؤون العامة وفق الحق والصدق، وجرى تأصيل اللامركزية- (الحكم الاتحادي والحكم المحلي)، من حيث هي توحُّ لإحقاق الأمر الإلهي بالعدل، سواء في تقسيم السلطات أو توزيع الثروات إعمالاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ ﴾.. كما جرى تأصيل المشاركة السياسية على هدى نظام الشورى في الإسلام ﴿ وَأْمُرْهُمْ بِشُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾.. وارتفع التأصيل بحقوق الإنسان إلى منزلة الحرمات التي يتعبد الناس لله تعالى بأدائها ورعايتها، وبما يفوق جهد البشر المجرد في الصكوك الدولية بأمد بعيد. (1)

كان بروفيسور الإمام رحمه الله رائداً في حركة التأصيل المؤسسية، وهي حركة أنتجت حركة اجتماعية موازية في نشر مظاهر التدين، وتعظيم الشعائر، بين الشباب والنساء، مما يعد تحصيلاً ذاتياً للمجتمع في وجه الغزو الثقافي العلماني المجتاح، وهو جهد لا يبد من استكمال

(1) أحمد على الإمام، التأصيل مناهج الإصلاح والتركية، مرجع سابق.

وتسديده، وقد كان لمستشارية التأصيل أعمالها الفكرية النموذجية، سواء في الإصدارات أو أوراق العمل.. ومن ذلك كتاب الشورى في تأصيل العمل السياسي، وكتاب الأسرة في تأصيل الحياة الاجتماعية، وورقات عمل ومخاطبات في التأصيل الثقافي والاجتماعي، وفي التأصيل الاقتصادي والمالي.. هذا فضلاً عن كتاب التأصيل الدوري الذي يعرض خطط التأصيل ونماذج الأعمال التأصيلية، وهناك الأعمال التأصيلية للهجرة النبوية، وصحبة الصحابة، وتراث الخلوة.

يرى بروفيسور الامام أن الثورة التقنية الجارية حالياً لها آثار أوسع وأعمق على العالم بأسره، سواء في تغيير الاتجاهات الثقافية أو تبديل المناهج السلوكية.. وذلك في النزعة إلى عولمة العالم، بكل تعددته الثقافية، وفق نمط الحياة الغربية.. وهي موجة جديدة للهيمنة تسعى لكسب مناطق النفوذ وتأمين المصالح.. وتتخذ لذلك منهجاً مزدوجاً: استخدام القوة العسكرية، وتجريب مشروعات الشراكة المزعومة، ومخططات الإصلاح المشبوهة.. وهي شراكة تفقر إلى المحتوى في ظل علاقات التبادل الدولي غير المتكافئة، كما هو إصلاح سياسي يسعى لتبوء النخب المستتعبة للغرب مواقع السلطة باسم التحول الديمقراطي. كما هو إصلاح اقتصادي يطلق حرية الاستثمارات الاحتكارية للشركات الغربية وشركائها المحليين، على حساب العدالة الاجتماعية للأغلبية من الطبقات الفقيرة، باسم اقتصاد السوق. أما الإصلاح الاجتماعي المدعى فيعمد إلى إشاعة الإباحية الجنسية، وتحطيم التماسك الأسري والنسيج الاجتماعي باسم حقوق المرأة وتمكين الناشئة.. ويمتد مشروع الإصلاح التعليمي المزعوم لإحلال المبادئ العلمانية محل العلوم الدينية باسم حرية الوصول للمعلومات وحرية الفكر والعقيدة. وتأسيساً على حقائق هذا الواقع العالمي، يصير التأصيل (الذي هو بتعريف مجمل الرجوع إلى الأصول) ضرورة واقعية للأمة الإسلامية، وفريضة دينية على مجموعاتها. ذلك بأن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها. أما أولها فقد أصاب ذروة الإصلاح حين غير ما بنفوس أفراده فغير مجتمعه الصغير والكبير، وغير من ورائه المجتمع العالمي. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وقد وضع الإمام مجموعة من العوامل المعينة على التأصيل تسهم في جعل حركة التأصيل ممكنة ميسورة، إذا توفرت قوة الإرادة وطاقة الحكمة، ويمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلي: (1)

أولاً: اتسام الثورة التقنية نفسها بخاصية المرونة والانفتاح على التجارب الذاتية لكل المجموعات البشرية على اختلاف معتقداتها وثقافتها.. وذلك بحيث يمكن للدول النامية الأخذ بأحدث المعطيات التقنية، متخطية إعادة التجريب لمراحلها التاريخية، متى ما توفرت بيئة البحث العلمي للتوطين التقني. والبلاد الإسلامية في شرق آسيا (ماليزيا، اندونيسيا، باكستان)، نماذج لمقدرة اللحاق بالتقدم التقني الذي يحافظ إلى حد كبير على الأصالة الثقافية.. وهناك دول أخرى غير إسلامية في هذه المنطقة (اليابان والهند) استطاعت أن تحدث التقدم التقني النسبي مع شيء من الحفاظ على هويتها الثقافية.

ثانياً: الموروث الحضاري والموروث للأمة الإسلامية في تلاحقها الثقافي، في عصر النهضة الإسلامية، مع الشعوب المحيطة بدولة الخلافة الإسلامية.. وقد كان منهاج ذلك التلاحق هو استيعاب المعارف والتجارب النافعة الأخرى، بعد تنقيتها من جذورها الوثنية، وصهرها في بوتقة منهاج التربية الإسلامية والمقاصد الإسلامية، ثم الوصول إلى الإبداع في الإنتاج الحضاري المستقل.. فلم تكن الحضارة الإسلامية ناقلاً محضاً لتلك المعارف والتجارب، وإنما كانت تلك الحضارة تملك كل مقومات الإبداع الذاتي.. فالمسلمون قد وجدوا التجربة العلمية لدى الإغريق ذات خصائص وصفية تأملية، فأضفوا عليها الخصائص التحليلية التطبيقية، مما أنتج روح البحث العلمي الذي اعترف المفكرون الغربيون المنصفون بمرجعيتها الإسلامية.. واليوم فإن على المسلمين ألا يكتفوا بنقل التقانة، مجرد النقل، وإنما أن يوطنوا بيئتها البحثية وأدواتها التطبيقية، أسوة بمنهاج حضارتهم السالف.. فعليهم في تأصيل العلوم والتقانة تخليصها من نزعتها العلمانية، وربطها بعقيدة التوحيد، ثم تحويل أهداف البحث العلمي والتطوير من الاستخدام المطلق للأغراض العسكرية والتجارية إلى الأهداف الإنسانية العليا في توطيد دعائم السلام والأمن وبسط عدالة التنمية دونما إخلال بتوازن البيئة.

(1) أحمد على الإمام، التأصيل مناهج الإصلاح والتركية، مرجع سابق.



**ثالثاً:** وحركة التأصيل الشاملة يقتضيها واجب الدعوة والبلاغ أن تبرز نظرياً وعملياً تفوق المناهج الإسلامية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. فحقوق الإنسان في الإسلام، والتي يجمعها حق الحياة وحق الحرية، تبلغ الذروة التي تتقاصر دونها الصكوك الدولية، فإن حق الحياة لأي فرد بشري يعادل حق الحياة للنوع البشري بأسره، فمن اعتدى عليه كأنما اعتدى على الحياة البشرية بأجمعها ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ . بجانب حق الحرية هو مستمد من حرية الاختيار بين الإيمان والكفر، الذي تترتب عليه المسؤولية في الدنيا والآخرة ( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ).. حيث لا إكراه في الدين مصادرة لهذه الحرية والمسؤولية ( لا إكراه في الدين).

والتأصيل عند الإمام هو تفتح معرفي وسلوكي على المستقبل، وليس مجرد إنكفاء جامد على الماضي، فالرجوع إلى الأصول، وعلى رأسها القرآن الكريم، هو رجوع إلى قيمة التفكير والتدبر، ومن ذلك منهج البحث العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم، بمثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾.. والسير (البحث) والنظر (العلمي) هما دعوة مباشرة للبحث العلمي المسدد بمقاصد الدين.. وهو بحث حتى في نشأة الخلق، ناهيك عن المعارف والخبرات الضرورية لأداء أمانة الاستخلاف في الأرض..

**جهود بروفيسور الإمام في التأصيل لا حصر لها،** ويصعب الاحاطة بها، لأنها تنوعت وتعددت؛ فمن جهوده في التأصيل السياسي أنه أصل لإمكان تطبيق الشريعة في السودان الذي تسوده ملل وديانات متعددة برسائله (تطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمع تتعدد فيه الملل والثقافات)، ثم ببحثه: (تطبيق الشريعة الإسلامية وأثره في إصلاح المجتمع) مفنداً فيه مزاعم المعترضين على تطبيق الحدود بتعارض هذا التطبيق مع حقوق الإنسان، ثم بكتابه الفذ (من حديث الهجرة أنفاس طاهرة من لطائف السيرة النبوية)، ليرى كيف شاد رسول الله عليه الصلاة والسلام دولته في العهد الأول، لتتأسس عليها وتقتدي بها التجارب اللاحقة، واستفاد من تجربته الشخصية الطويلة مع المؤسسات الشورية وأصل لقضايا الشورى المعاصرة بكتابه (الشورى:

مراجعات في الفقه والسياسة والثقافة)، وقدم للولاة والمسؤولين نصائح المرشد الوفي والمصلح النقي في رسالة عتّون لها: (تذكرة الولاة).

كما له جهوده في التأصيل الاقتصادي، وأبرز هذه الجهود تمثلت في تنظيم مؤتمرات وندوات التأصيل الاقتصادي، حيث عقدت في أكتوبر 1998م الندوة الأولى للتأصيل الاقتصادي بالتعاون بين مستشارية التأصيل ولجنة تأصيل النشاط الاقتصادي بوزارة المالية، ثم الندوة الثانية لتأصيل النشاط الاقتصادي في فبراير 2001م للنظر في المسائل المشكّلة في تلك الأيام مثل: مشروعية إصدار النقود، التمويل والعجز، التضخم وغيرها.

أما جهوده في التأصيل الاجتماعي والثقافي، فقد رأس رحمه الله اللجنة العليا لمعالجة الظواهر السالبة في المجتمع في عام 2002م، التي قامت برصد وحصر الظواهر السالبة، ودراسة أسبابها وجذورها، ووضع المعالجات اللازمة واقتراح الحلول لها، ورفعها إلى رئاسة الجمهورية لتوجيه الأجهزة التنفيذية المعنية باتخاذ الإجراءات اللازمة، كما أسهم الشيخ مع إخوانه في مجمع الفقه الإسلامي برئاسته بشأن اتفاقية (سيداو)، في بلورة موقف الدولة الرسمي من هذه الاتفاقية بتحفظ السودان على البنود التي تخالف الهدى الإسلامي، ومن ثم رفض الاتفاقية بكاملها، وكان موقفاً مشرفاً للبلاد، وقد بادر الشيخ إلى إعداد "خطة للتحسين الاجتماعي والثقافي" حتى يستقوي المجتمع ويحمي ثوابته وأعرافه الخيرة، كما أعدّ بروفيسور الإمام دراسة لمكافحة مرض نقص المناعة (الأيدز)، فكتب بحثه: (العفة والإحسان لمكافحة طاعون العصر).

وله جهوده في تأصيل التعليم من خلال سلسلة دراسات وبحوث في قضايا التعليم ونظمه وتأصيله، منها: (غرس القيم الإسلامية في الناشئة)، و(أدب العلم والمتعلم)، و(الخلوة والعودة الحلوة)، و(المعالجة التأصيلية لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي)... الخ، وله جهود في التأصيل العسكري الجهادي، وهو كما يقول بروفيسور عبد الله الزبير عبد الرحمن: "شيخ المجاهدين الذين أحيوا فريضة الجهاد، وجدّدوا فقه الاستشهاد، ورسخوا معاني القتال في سبيل الله تعالى والنقاني في الذود عن حمي الملة والأمة. وفي ميادين الجهاد ألف شيخ أحمد كتابه:

(نظرات معاصرة في فقه الجهاد)، وربطاً للمجاهدين بالله تعالى والإكثار من ذكره صنّف الشيخ رسالته: (أهل الذكر وساحات الجهاد) وترغيباً في الاستشهاد في سبيل الله تعالى وعاقبته الحسنی؛ كتب الشيخ رحمه الله تعالى رسالته: (صناعة الشهادة وحياة الشهداء). وغير ذلك مما كتب شيخ أحمد في تأصيل الجهاد في السودان. (1)

خلاصة القول فإن التأصيل المعرفي عند الإمام رحمه الله ليس رجوعاً جامداً بغير فهم أصيل للأصول، وإنما هو فهم واع لثوابت هذه الأصول، وتجديد حي في الوسائل والأدوات لإعمال هذه الأصول على متغيرات العصر، ومستجدات الواقع.. وذلك في انفتاح رشيد لاستيعاب العلوم والمعارف والتجارب البشرية النافعة على قاعدة نبوية حكيمة: (الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق بها).

## المبحث الثاني

### ريادة التأصيل في العلوم الطبيعية

#### جهود بروفيسور محبوب عبيد ( رحمه الله )

(1) عبد الله الزبير عبد الرحمن، من جهود الشيخ الإمام أحمد علي الإمام في التأصيل، ورقة قدمت في المؤتمر العلمي العالمي الثاني ( تأصيل العلوم الواقع والتحديات)، أقامته جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، في الفترة من 4 - 6 نوفمبر 2014م.

البروفسور محجوب عبيد طه عالم الفيزياء السوداني المشهور، هو مواليد الدويم عام 1937م، درس المرحلة المتوسطة في الدويم والثانوية في حنتوب، «ثم امتحن شهادة «اكسفورد» من السنة الثالثة عام 1957 والتحق بالتدريس لعام واحد - كعادة معظم النابغين من الطلاب الفقراء وشبه الفقراء لتحسين أحوالهم المادية، ثم التحق بكلية العلوم بجامعة الخرطوم، وابتعث بعد عامين لبريطانيا جامعة «درهام» فحصل على البكالوريوس في الرياضيات، ثم أعطيت له منحة في جامعة «كيمبردج» فحصل على الدكتوراه في مجال «الفيزياء النظرية» عام 1967م في تخصص «فيزياء الجسيمات الأولية وعلم الكون»، ثم وقع الاختيار عليه كطالب مميز لقضاء عام بمعهد «برنستون للعلوم» في الولايات المتحدة الأمريكية، عاد بعدها للسودان رافضاً عرضاً كبيراً مغرباً بالبقاء والعمل هناك؛ فعين محاضراً بجامعة الخرطوم، وتدرج حتى حصل على الأستاذية وصار عميداً لكلية العلوم من 74 - 1976م، ثم التحق بكلية العلوم في جامعة «الملك سعود» بالرياض، توفي بالرياض في 26 أغسطس 2000م. كان له اهتمام كبير بعلاقة العلم الطبيعي بالدين والاعجاز العلمي في القرآن، وله بحوث كثيرة أكثر من «60» بحثاً نُشرت في المجالات العالمية المتخصصة.

للبروفسور محجوب عبيد طه جهد كبير في مجال التأصيل، ومن ذلك بحثه التأسيسي المشهور: حول أسس التأصيل الإسلامي في العلوم الطبيعية، والذي نشر في عام 1994م، في العدد الأول من مجلة التأصيل، التي تصدر عن إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وأعيد نشره في ذات المجلة، في العدد العاشر، الذي صدر في ديسمبر عام 2002م. وضع محجوب عبيد في هذا البحث الأسس لتأصيل العلوم الطبيعية، حيث بين ضرورة أن يستصحب الباحث في مجال العلوم التجريبية المرتكزات الأساسية ذات الصلة بالدين الإسلامي كوجود الخالق وتدبيره وإتقانه وحكمته في خلق الكون، وأن الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية، وأن المعرفة البشرية ظنية إلا ما أيده الوحي، وأن الإنسان مخلوق عاقل مكلف بعبادة الله واتباع أوامره التي تشمل التدبر في سنن الله في الخلق، وأن الإنسان يسعى لتحقيق الحياة

## الطبية في الدنيا والآخرة. (1)

كما كتب بروفيسور محبوب عبيد عن قضية العلم الطبيعي والايان بالغيب، باعتبار أن الإيمان بالغيب جزء أساسي من عقيدة المسلم. قال تعالى في صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيزُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة:3)، وأنواع الغيبيات في عقيدة المسلمين كثيرة، أخبر عنها القرآن وتحدثت بها الأحاديث الشريفة، منها غيبيات مضت ومنها غيبيات تأتي ومنها غيبيات معاصرة هي مما لا يدركه الحس البشري ولا يشملها نطاق الحواس، منها الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وقدرته القاهرة فوق العباد والمخلوقات، والإيمان بالملائكة والجن والشياطين وبحقيقة أثرهم في حياة الناس، وكل هذا من ثوابت العقيدة وأركانها، مما لا يجوز لمسلم أن ينكره أو يصرفه بالتأويل والتحريف والتمويه.

يرى محبوب عبيد أن إيمان المسلم بالله يقتضي الإيمان بتأثيره اللحظي الدائم على كل مجريات الأمور في الكون، وبصلته المباشرة وأثره على نفوس البشر ودخائل الصدور، ويستعيز المسلم بالله من الشيطان ووسوسته، ويعلم من صفاته ما جاء به صريح القرآن: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ﴾ (الأعراف: 27)، و﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس: 5، 6)، و﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وإذن فعقيدة المسلم تقتضي الإيمان بتأثيرات غيبية عديدة، لا تشملها حواس الناس ولا تدركها، ولكن فعلها حقيقي ويلزم أن يؤخذ في الاعتبار في ما يهم الناس من أمور الحياة. (2)

يرى محبوب عبيد أن السبيل للجمع بين العلم الطبيعي والإيمان بالغيب إيمانا حقيقيا يجعل له دورا فعالا في الحياة، هو أن نحدد بوضوح معنى وحدود العلم الطبيعي؛ فالعلم

(1) محبوب عبيد طه ، أسس التأصيل الإسلامي في العلوم الطبيعية، العدد الأول، مجلة التأصيل، إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٩٤م، ص 71 - 72 .

(2) محبوب عبيد طه ، العلم الطبيعي والإيمان بالغيب، بحث منشور على موقع الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن والسنة، على الرابط: <http://www.ejaz.org/index.php/component/content/article/83-Twenty-fifth-issue/853-Natural-science> .

الطبيعي لا يشمل كل ما يهم الناس في حياتهم، مؤمنين كانوا أم ملحدين، وليس ممكنا أن يبني الإنسان حياة منظمة سوية على أسس العلوم الطبيعية ونتائجها، إذ هنالك مفاهيم أساسية للحياة المتحضرة لا يشملها نطاق العلم الطبيعي، منها مثلا مفاهيم العدل والظلم والحق والباطل. وعدم شمول نطاق العلم الطبيعي لمثل هذه المفاهيم الضرورية للحياة الاجتماعية المنظمة ليس أمرا مرحليا يتعلق بالطور الحالي من مسيرة العلم، وإنما هو أمر تقتضيه طبيعة هذه العلوم التي تقصر اعتباراتها على المنهج التجريبي ولا تسمح إلا بالمصطلحات التي تعرف تعريفا إجرائيا عمليا، بمعنى أن كل تعريف علمي توضيح للخطوات التي يلزم اتباعها لنحدد المقدار المعرفي انطلاقا من مقادير سبق تعريفها. هذا التقييد من أسس العلم الطبيعي وجوهر منهجه ولا غنى عنه لهذا البنيان الشامخ الذي اتسعت آفاقه وانتشرت تطبيقاته وأثرت نتائجه على حياة الأفراد وعلاقات الدول، ومع ذلك فليس ممكنا أن نثبت على أساس العلم الطبيعي وبمنهجه ووسائله أن السرقة جريمة أو أن الصدق فضيلة. وإذن فنطاق العلم لا يشمل أمورا ضرورية في حياة الإنسان المعاصر، هذه ناحية، أما الأخرى، وهي الأهم، ظن الناس أن العلوم الطبيعية لا تعرف الغيبيات ليس صحيحا، لقد اضطر العلماء الطبيعيون في مراحل عديدة ليأخذوا في الاعتبار تأثيرات مجهولون مصدرها، ثم بنوا على افتراض وجود مصادر لها، نظريات تحدد خواص هذه المصادر المجهولة ومضان العثور على آثار أخرى لها وكيفية متابعتها والتأكد من حقيقة وجودها. من هذه المصادر ما تحول بمرور السنوات وتجويد وسائل التجريب من الغيب إلى الظاهر ومنها ما ظل حتى يومنا هذا مصدرا غيبيا لم يره أحد ولكنه يدخل في الحسابات ولا تصح بدون أخذه في الاعتبار. من أمثلة ذلك (جسيم النيوتريون) وهو جزء أساسي من نظرية الطاقة العالية في الفيزياء الحديثة، ومع ذلك لم تسجله الكاشفات التجريبية حتى الآن، فوجوده غيبي لكن تأثيره حقيقي لا يشك فيه أحد من المتخصصين في هذا المجال.<sup>(1)</sup>

يعلل محجوب عبيد سبب الاختلاف حول غيبيات الدين، وعدم اعتراف العلم الطبيعي بوجود الشياطين مثلا ودراسة تأثيراتها التجريبية، ويرده لضيق نطاق العلم الطبيعي كما ذكر سابقا، ومن ناحية أخرى تمنع أن يشمل اهتمامه تأثير الشيطان، كما منعت الناحية التي

(1) المرجع السابق.

ذكرناها من قبل أن يشمل اهتمامه مفهوم العدالة. هذه الناحية هي أن الطريقة العلمية تتطلب التكرار: أن تتكرر الظاهرة بتطابق تاماً كلما تكررت القرائن الظاهرة المتصلة بها. هذا الشرط تحقق في حالة ( جسيم النيرترينو ): كلما تحققت ظروف معينة يختفي قدر معين من الطاقة دون سبب معلوم. إذن ففرضية وجود شيء ما يظهر في هذه الظروف ويأخذ هذه الطاقة المفقودة فرضية تقع في نطاق العلم الطبيعي، إذ يمكن تكرار الواقعة من اختبار صحتها، هذا الشرط ضروري للطريقة العلمية التجريبية ولا يتحقق في تأثير الشيطان. وأثر الغيبات العفائية في حياة الناس على نحو عام، ليس مما يتكرر تكراراً تطابقياً بتحقيق الأحوال المقارنة له، بل إننا لا نحسن تحديد هذه الأحوال على ما يلزم في تحديد ظروف التجارب.

مثلاً يدعو المرء بالدعاء في حال يراها من دواعي تحقيقه وقد يستجاب له أو لا يستجاب وقد يعود لمراجعة حاله ويتهم صدق توجهه وصفاء نيته، وهذه أمور لا تخضع لقياس ولا تطبيقاً أوعية العلم الطبيعي. وخلاصة القول إنّ هناك أموراً في الحياة مهمة وضرورية للأفراد والمجتمعات، ولا يضيرها إلا أن يشملها العلم الطبيعي في ما يشمله من المفاهيم والاهتمامات، وليس هنالك تناقض بينها وبين العلم الطبيعي، من هذه الأمور ما يهم كل الناس، مؤمنين كانوا أم ملحدين، ومنها ما يهم المؤمنين بالغيبات العقديّة دون سواهم. ولا يوجد تناقض بين هذه الأمور والعلم الطبيعي، وهي جوانب من حياة المؤمن واهتماماته يكمل بعضها بعضاً، وكلها من فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

وضع محجوب عبيد أسساً للتأصيل في مجال العلوم الطبيعية<sup>(1)</sup>، حيث يرى أن الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية بالموجودات والغيبات، وما جاء به يشكل إطاراً شاملاً يحيط بمجهود البشر في التجريب والتنظير، فيحده ويرشده، يقود هذا المبدأ محدودية التصور البشري ومرحلية العلم الطبيعي، وهو مبدأ عملي مهم يفسر تاريخ تطور العلوم التجريبية ونظرياتها. ومن تلك الأسس أنّ المعرفة البشرية مهما أُنقن اختبارها بالتجربة فهي ظنية، إلا ما أيده الوحي منها بصفة خاصة. بجانب الأساس الذي يقول أن معرفة الله وتحقيق الحياة الطيبة في

(1) محجوب عبيد طه، حول أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية، العدد العاشر، مجلة التأصيل، إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2002م، ص 25-26.

الدنيا والآخرة هما غاية المجهود البشري الراشد والحياة الراشدة، تبنى بتوفيق الله على العلم الذي يعلمه الله من يشاء من عباده من شتى المصادر وبكافة السبل؛ فالعلم بمعناه الواسع هو العلم المتكامل بأمر الدنيا والآخرة وهو العلم النافع الذي ينشده المؤمنون.

### المبحث الثالث

#### ريادة التنظير لفلسفة التأصيل

#### جهود بروفيسور جعفر شيخ إدريس

في منتصف السبعينيات من القرن الماضي ألقى بروفيسور جعفر شيخ إدريس محاضرة باللغة الإنجليزية في مؤتمر العلماء الاجتماعيين المسلمين، دعا فيها إلى أسلمة العلوم، فكان



من استعمل هذا المصطلح<sup>(1)</sup>، وهو أول من أطلق هذه اللفظة (أسلمة العلوم) في ذلك المؤتمر، وأول من نشره هو "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" تحت مصطلح (أسلمة المعرفة). وقد حدد د. جعفر شيخ إدريس مفهوم أسلمة العلوم بأنه: بناؤها على أصول الإسلام الثابتة والتقييد بالأخلاق الإسلامية في البحث. رغم أن بعض الدارسين يرجع أصل فكرة أسلمة المعرفة إلى كتابات سيد نقيب العتاس في كتاب نشره عام 1969، وكانت فكرته تهدف إلى تحرير الناس من عالم التقاليد و الخرافة والثقافات المحلية والسيطرة العلمانية على التفكير واللغة. غير أن بدايات البناء التطويري لهذه الفكرة كانت مع جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً عند إسماعيل راجي الفاروقي وجعفر شيخ إدريس، بالإضافة إلى سيد حسين نصر و غيرهم.

تحدث شيخ إدريس آنذاك عن التحدي الذي يواجه المشتغلين بالتأصيل هو الجمع بين ما جاء في القرآن وما ثبت عن طريق العلم، أو هو توظيف هاتين المسلمتين في البحث العلمي. وقد أصل شيخ إدريس لمسألة مصادر المعرفة، حيث يقول: "للحقائق كلها مهما كانت أنواعها مصدران لا ثالث لهما: الكون والوحي، أو قل خلق الله ووحى الله. فإذا ادعى إنسان دعوى ليس عليها دليل من هذين المصدرين أحدهما أو كليهما، كانت دعواه باطلة. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ [فاطر: 40]

فعبادة هؤلاء لما عبده من دون الله تتضمن الدعوى بأنهم أرباب، والرب لا بد أن يكون خالقاً، والعلم بأنه خالق يكون إما بمشاهدة ما خلقه في الكون، وإما بوحي من الإله الذي ثبت أنه خالق. فإذا لم يكن لهذه الدعوى سند لا من خلق الكون المشهود، ولا من كلام الإله الخالق،

1- <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A9> موسوعة ويكيبيديا، مصطلح أسلمة.

كانت بالضرورة باطلة".<sup>(1)</sup>

فالتصور الإسلامي لمصادر المعرفة - حسب شيخ إدريس - يختلف عن التصور المادي الإلحادي الذي يجعل الكون وحده مصدراً لها ولا يتصور منهجاً علمياً إلا المنهج الذي تعرف به حقائق هذا الكون. لكنه يختلف أيضاً عن التصورات الدينية والميتافيزيقية الأخرى. ومحور اختلافه معهما في كونه يقيم أدلة من هذا الكون المشهود على دعواه بأن هنالك مصدراً ثانياً هو الوحي، على حين ينكر الماديون هذه الحقيقة التي يدل عليها المصدر الذي يُقرون به فيتناقضون؛ ويؤمن أصحاب التصورات الدينية والميتافيزيقية الأخرى بمصادر لا يملكون آثاره من دليل على صحتها.<sup>(2)</sup>

بحث د.جعفر شيخ إدريس قضية التأصيل باكراً، وفي محاضرة ألقاها في مؤسسة الملك فيصل الخيرية عام 1407هـ، انتهى إلى أن الإطار الذي تنطلق منه العلوم الإنسانية إطار إلحادي مادي يؤمن بالمادة ويحصر مناهجه في المحسوس فقط، مما يقتضي من علماء المسلمين الاهتمام بهذه القضية بكل وسعهم.

وفي مقال نشره في مجلة المسلم المعاصر ناقش شيخ إدريس دعوى التعارض بين إسلامية العلوم وموضوعيتها. وقرر د. جعفر أن الباحث يستحيل عليه أن يخلو ذهنه تماماً من الاعتقادات والميول والأفكار السابقة، كما قرر أن الإطار المرجعي لهذه العلوم هو إطار إلحادي مادي معاد للدين. ويقرر د.جعفر أن أماننا إذن إطارين فلسفيين يمكن أن توضع فيهما العلوم الاجتماعية: أحدهما هو الإطار الغربي وهو إطار إلحادي مادي كما سبق، وثانيهما هو الإطار الإسلامي المستند إلى الوحي، والباحث مجبر على أن يأخذ أحدهما. وإذا كان الأمر كذلك فما المقصود بالموضوعية؟ كما يقرر د.جعفر أن الموضوعية إذا كان المقصود بها هو

1- <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A9> موسوعة ويكيبيديا، مصطلح أسلمة.

2- جعفر شيخ إدريس، الأجوبة الإسلامية عن الأسئلة الفلسفية، منار السبيل، السنة الثانية، رمضان 1414هـ الموافق فبراير-مارس 1993م، العدد 8، صفحة 4-6.

أن يكون الباحث مستعداً لقبول ما دلت عليه المشاهدة وما كان نتيجة لازمة للتجربة أو لازماً عقلياً من لوازمها، وأن يكون أميناً في نقل النتائج التي توصل إليها حتى لو خالف ذلك اعتقاداً سابقاً له، إذا كان هذا هو المقصود بها، فإن هذا لا يتعارض مع إسلامية العلوم واتخاذ الوحي مصدراً للمعرفة.

ويقرر جعفر شيخ إدريس أن ما يعترف به الإطار الإلحادي من حقائق ليس شيئاً خاصاً به أو ناتجاً عنه وحده، وإنما هو أمر مشترك بينه وبين الإطار الإيماني لأنه ليس في الإطار الإيماني ما يمنع من إدراك أية حقيقة تدرك في حيز الإطار الإلحادي. أما ميزة الإطار الإيماني كما يرى جعفر فهي أنه إطار العقل الكامل، أي إنه " يساعد على إدراك حقائق ومؤثرات وتفسيرات أخرى لها نتائج نافعة في حياة الناس العلمية والعملية والنفسية لا مجال لها داخل الإطار الإلحادي". (1)

من المناقشات التأصيلية لشيخ إدريس ناقشه العلاقة بين ما ثبت بالعقل وما ثبت بالنقل ومدى إمكانية تعارضهما، أو بعبارة أخرى مدى إمكانية التعارض بين القضية الدينية والقضية العلمية، وأفاد بأنه يمتنع وقوع تعارض بين حقيقتين دينية وعلمية أو بين ما ثبت بالوحي وما ثبت عن طريق العلم. والتعارض إذا وقع إما أن يكون سببه سوء فهم لهما جميعاً أو لإحدهما، أو يكون سببه أن ما يظن أنهما حقيقتان ليستا في الواقع حقيقتين، أو أن إحدى الحقيقتين ليست كذلك، أي إن ما يظن أنه حقيقة علمية ليست حقيقة علمية أو ما يظن أنه حقيقة دينية ليست كذلك. وإذا افترضنا وجود تعارض بين قضيتين علمية ودينية فالجمع بينهما لا يكون إلا بتأويل إحدهما كي تتفق مع الأخرى، ويورد جعفر شيخ إدريس رأياً لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد مؤداه تقديم الأرجح من القضيتين وتأويل الأضعف دلالة أو سنداً كي تتفق مع الأقوى. (2)

ورغم خلفيته الفلسفية فقد اهتم جعفر شيخ إدريس بالعلوم الطبيعية، وكتب كتابه الشهير

(1) جعفر شيخ إدريس، إسلامية العلوم وموضوعيتها. مجلة المسلم المعاصر، 1408هـ، العدد 13، 50، ص 16.

(2) -The Islamization of sciences: its philosophy and Jaafar S Idris,

.methodology. The American Journal of Islamic Social Sciences, (1987). 4, 201 – 208

(الفيزياء ووجود الخالق)، فالفيزياء تبحث في طبيعة الكون، وكان الدين قائماً على أن هذا الكون مخلوق لله؛ فقد كانت الفيزياء دائماً ذات صلة بقضية وجود الخالق وصفاته، فحقائق الفيزياء ونظرياتها تفسر أحياناً تفسيراً يجعلها متنافية مع وجود الخالق، وتفسر أحياناً تفسيراً يجعلها مقتضية له، لكن مناقشة هذه القضية تتعدى مجال الحقائق والنظريات الفيزيائية، ويتأثر المناقش لها- حتى عندما يكون عالماً فيزيائياً مرموقاً- بما في مجتمعه وتاريخ قومه من أفكار ومسلمات شائعة.

أراد د. جعفر من كتابه هذا مناقشة الطريقة التي استخدم بها هؤلاء الفيزيائيون هذه الحقائق والنظريات- لا الحقائق والنظريات الفيزيائية ذاتها- في إثباتهم لما أثبتوه أو إنكارهم لما أنكروه مما له تعلق بقضية وجود الخالق، كما حاول بيان أن القول بالاستغناء عن الخالق لم يكن له ما يُسوِّغه حتى فيزياء نيوتن، ثم فصل القول في مناقشة الحجج التي يتعلل بها بعض الفيزيائيين المعاصرين في إنكارهم لوجود الخالق.

وقد جاء الطرح التأصيلي واضحاً في ثنايا الكتاب، الذي جاء في سبعة فصول على النحو التالي: (1).

الفصل الأول: فجاء تحت عنوان "الإلحاد في العصر الحديث"، وفيه حدد المؤلف البدايات الفعلية لعصر انتشار الفكر الإلحادي بمقدم القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً، حيث بدأ الإلحاد يحل محل الإيمان عند كثير من قادة الفكر الأوروبي، وصار بعد مقدم الشيوعية هو (الدين الرسمي) لديها. ثم عرض المؤلف لنتائج الانتشار الكبير للفكر الإلحادي، كما عرض لجملة من الأسباب التي أدت بشكل أو بآخر إلى انتشار الإلحاد، وتحول كثير من الناس في الغرب هذا التحول العجيب من الاعتراف بربوبية الخالق إلى إنكار وجوده.

وخلص المؤلف في هذا الفصل إلى أن معظم الملحدين لا ينكرون وجود الخالق أي خالق، وإنما ينكرون وجود الخالق الحق الذي دعتهم إلى الإيمان به رسالات السماء، فمن دلائل الفساد الفكري لدى هؤلاء- كما بين المؤلف- أنهم- إذا أنكروا وجود الخالق الحق- يعززون حدوث الأشياء إلى أشياء أخرى، وهم وإن لم يسمونها بالخالقة إلا أنهم يقيمونها مقام الخالق سبحانه

1- جعفر شيخ إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، (لندن، منشورات مجلة البيان، ط1، 1422هـ، 2001م)..

وتعالى، بل ويضيفون عليها بعض صفاته.

وجاء الفصل الثاني للحديث عن "أدلة وجود الخالق"، وفيه اعترض المؤلف على من ينكر وجود أدلة عقلية على وجود الخالق - عز وجل - سواء من الملحدين أو من المؤمنين، مبيناً أن الإيمان الصحيح المعتبر هو الإيمان القائم على العلم، وإلا لم يكن هناك من فرق بين من يؤمن بوجود خالق، ومن يؤمن بوجود خالقين، ومن لا يؤمن بخالق، لأن كل منهم يمكن أن يقول إن اعتقاده أمر قلبي لا يخضع للمناقشة العقلية، ولم يعد من حق واحد منهم أن يقول للآخر إنك مخطئ في اعتقادك.

وبناء على هذا الأمر أوضح المؤلف أن الأدلة على وجود الخالق كثيرة، لكن المتعلق منها بدلالة الكون المشهود على خلقه ثلاثة، هي: البرهان الكوني، ودلالة الآيات، ودليل العناية، ثم أخذ المؤلف في تفصيل القول في هذه الثلاثة، بجعلها أساساً لمناقشة الملحدين الفلاسفة والفيزيائيين الغربيين.

وفي الفصل الثالث، تحدث المؤلف عن العلاقة بين "الفيزياء وأصل الكون"، وفيه تتبع المؤلف أقوال الملحدين من فلاسفة وعلماء طبيعة وآخرين غيرهم - فيما يخص الحديث عن أصل الكون - فما وجدها تخرج عن هذه الدعاوى الباطلة: زعم بعضهم فيما مضى أن بعض الكون أزلماً، وقال آخرون بل مادته هي الأزلية، فأعطوها صفة من صفات الخالق، وزعم بعضهم - بعد ثبوت حدوث الكون - أنه خلق من عدم، وزعم آخرون أنه خلق نفسه، ومن ثم قام المؤلف بمناقشة هذه الدعاوى التي ألبست ثوب العلم تارة، وثوب العقل تارة أخرى، أو الثوبين معاً تارة ثالثة.

وجاء الفصل الرابع تحت عنوان "الإلحاد ونظرية الانفجار العظيم"، وفيه ناقش من خلال كلام العلماء الفيزيائيين نظرية الانفجار العظيم، القائلة بأن الكون كان مضغوطاً بطريقة كبيرة جداً، ثم انفجر انفجاراً هائلاً، تكون على أثره ما نراه في الكون من مجرات وكواكب وشموس. وخلص المؤلف إلى نتيجة مفادها أنه ما كان ليوجد شيء في هذا الكون لو أن وجود أشيائه كان معتمداً على أشياء أخرى كمثلها حادثة مفتقرة إلى من يحدثها، لكن بما أن وجود الحوادث أمر مشاهد؛ فلا بد أن السبب الحقيقي لوجودها شيء من غير طبيعتها الحادثة، أي

شيء أزلي ليس لوجوده بداية ولا له نهاية، كذا الفاعل المُحدث للأشياء، والذي ليس لوجوده ابتداء ولا له انتهاء، لا يمكن أن يكون شيئاً غير الخالق الذي دعانا إلى عبادته أنبياء الله عليهم السلام.

أما الفصل الخامس من هذا الكتاب ف جاء لرد بعض الاعتراضات وتبديد بعض الشبهات، ومن ذلك: اعتراض بعض الفيزيائيين على الدليل الكوني، ومن الشبهات التي فندها المؤلف، الحديث عن بداية المخلوقات؛ هل يلزم أن تكون للمخلوقات بداية؟

وجاء الفصل السادس تحت عنوان: "من الخالق"، فبعد تسلسل منطقي من الحديث عن الإلحاد إلى الحديث عن أدلة وجود الله ثم رد بعض الشبهات، استطاع المؤلف من خلال الدليل العقلي إثبات وجود الخالق، وفيه أوضح المؤلف أنه لا يمكن عقلاً أن يكون شيئاً غير الخالق الحق الذي تدركه الفطرة، والذي دعت إلى عبادته رسل الله، أي إن الخالق الذي أوصلنا إليه الدليل العقلي هو الخالق نفسه الذي يحدثنا عنه النص الديني. كما تحدث المؤلف عن كيفية صدور المخلوقات عن ذلك الخالق الأزلي، كما تحدث عن ذات الله الحاملة لصفاته.

وختم المؤلف كتابه بسؤال: ماذا بعد الإيمان - إيمان هذا الفيزيائي وغيره - بوجود الخالق؟ حيث عرض لمناقشة متخيلة - استغرقت الفصل السابع كاملاً - بين عالم اقتنع بوجود الخالق لهذا الكون، لكنه لا يعرف إلى أي ديانة تؤمن بالخالق يتجه، فيدور هذا العالم على أصحاب الديانات سائلاً ومستفسراً، إلى أن يهديه الله للإسلام.

ومن الآراء المتقدمة في مجال التأصيل رؤية شيخ إدريس إنه حين يُبين المُنظّر أو الفيلسوف المسلم فضل الإطار الإسلامي على غيره فإنه لا يتحدث لإخوانه المسلمين فحسب، ولا يقول إن الإطار الإسلامي صالح لعلم دون علم، أو لأمة دون أخرى، بل إن هدفه أن يبين صلاحية هذا الإطار للبحث العلمي أيّاً كان، وللباحث أيّاً كان، وبذا يظهر أن إسلامية المعرفة لا تقتصر على المعرفة بالمسلمين، وعليه فمن الخطأ أن ينظر إلى إسلامية العلوم على أنها علوم خاصة بالدين الإسلامي، أو بأحوال المسلمين الراهنة، أو بتاريخهم. فهذا خطأ لا ينبغي أن ينزلق إليه دعاة هذا المشروع، لأنه يسلم بصحة النظرة النسبية؛ فكأنه يقول للغربيين إن نظرياتكم في العلوم الإنسانية صالحة لمجتمعاتكم ونظرياتنا صالحة لمجتمعاتنا، إن العالم

الغربي الذي يؤمن بالموضوعية يعتبر نظريته صالحة لتفسير الظواهر التي يتحدث عنها حينما وُجدت، ولا يعتبر علمه خاصا بالمجتمعات الغربية، كما أن زميله في العلوم الطبيعية لا يعتبر علمه علما غربيا بمعنى أنه يصلح للغربيين وحدهم، أو يفسر الظواهر الطبيعية المتعلقة ببلادهم.<sup>(1)</sup>

يرى شيخ إدريس ضرورة أن يضع المسلمون أنفسهم في الإطار الإسلامي، وهم يبحثون في علوم الفيزياء والكيمياء وسائر العلوم الطبيعية، "وأن نضعها في هذا الإطار. ونحن نبحث في علم النفس الإنسانية وعلم الاجتماع الإنساني وعلم الاقتصاد الإنساني وعلم التاريخ الإنساني، لا نفوس المسلمين ومجتمعات المسلمين واقتصادهم وتاريخهم فحسب. إن القرآن الكريم يتحدث عن الإنسان في أصله الفطري، الإنسان المسلم وغير المسلم، فحين يقول الله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } [المعارج:19-21]، فإنه لا يعني بذلك الإنسان المسلم وحده، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "كل مولود يولد على الفطرة"، ومن هنا نخرج بتصوير عام للإنسان فنقول إنه في أصله الفطري كذا وكذا، وإذا حاد عنه صار كذا وكذا، وإذا اسلم كان إسلامه امتدادا لذلك الأصل فصار كذا وكذا، وكذلك حين يقول الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد:11] فإنه يعطينا قانونا اجتماعيا عاما شاملا لكل المجتمعات الإنسانية وليس خاص بالمجتمعات الإسلامية".<sup>(2)</sup>

يعتبر جعفر شيخ إدريس هو رائد عالمية مفهوم إسلامية المعرفة كما أنه رائد مصطلح أسلمة العلوم؛ فميدان علماء الاجتماع المسلمين - عند شيخ إدريس - لا يقتصر إذن على المجتمعات الإسلامية، بل يشمل المجتمع الإنساني كله، بما في ذلك المجتمعات الغربية، لأنهم يبحثون في مشكلاتها الاجتماعية والنفسية، ونظمها السياسية، وعلاقاتها الاجتماعية والدولية، وتاريخها، ومستقبلها، كما يطلعون على ما يكتب علماء الاجتماع الغربيون ويناقشونهم، لكنهم

1- محمد وقيع الله أحمد، مفهوم إسلامية المعرفة لدى الأستاذ الإمام جعفر شيخ إدريس، سلسلة مقالات منشورة على موقع سودانيز اون لاين، موقع إن نيوز عربية، على الرابط: <http://www.inewsarabia.com/430> ..  
2- محمد وقيع الله أحمد، مفهوم إسلامية المعرفة لدى الأستاذ الإمام جعفر شيخ إدريس، مرجع سابق .

يفعلون كل ذلك وهم مستشعرون لإيمانهم بالله وبأن محمدا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن كلام الله.

من المهم الإشارة إلى أن الإطار الإسلامي للمعرفة لن يعصم العالم المسلم من الخطأ، ولن يجعل كل ما يقوله موافقا للإسلام، ولن يمنع من تعدد الآراء والنظريات واختلاف العلماء المسلمين وتخطئة بعضهم لبعض، وإذا كانت الدعوة إلى إسلامية العلوم لا تخالف الموضوعية بل تؤيدها، فإنها تضع للعالم المسلم حلا لمشكلة نفسية يشعر بها كثير من العلماء المؤمنين بالنصرانية أو المعتقدين في وجود الخالق وفاعليته، وهي مشكلة الانفصام بين شخصية الإنسان وهو يبحث في مجاله العلمي ويكتب ويناقش، وشخصيته وهو يتلو كتاب الله تعالى ويصلي ويصوم ويتزوج ويعاشر الناس؛ فالانفصام سببه أن الحالة الأولى تفرض عليه أن ينسى إيمانه أو يعلقه، والحالة الثانية تدعوه إلى أن يذكر هذا الإيمان ويستشعره.

## الخاتمة

التأصيل سواء في الحياة اليومية أم في المناهج الجامعية وتوجيه البحوث، أم في المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية كان للسودان فيه قصب الريادة والسبق وفتح الآفاق، وواصل في هذا المضمار رغم العقبات والعوائق المختلفة، ويعترف بذلك كل من له معرفة أو صلة بمجال التأصيل المعرفي.

تبين من خلال البحث صحة ريادة السودان في مجال التأصيل المعرفي، حيث أن أول من صك مصطلح أسلمة العلوم كان سودانيا، وكان للسودان مجهود كبير في إنتاج أبحاث التأصيل علميا وعمليا، وله كذلك التميز في مجال تأصيل العلوم الطبيعية تحديدا.



كما تبين من خلال البحث أن للسودان كذلك الريادة في مجال التأصيل المؤسسي، حيث تصدرت جهات كثيرة لأمر التأصيل من بينها رئاسة الدولة التي أنشأت مستشارية شؤون التأصيل، مما يشير لتبني الدولة للتأصيل، كما ظهرت مؤسسات رسمية وشبه رسمية وشعبية تنشط في المجال.

يدعو البحث لبسط مفاهيم التأصيل شعبيا وقاعديا، كما يدعو لإعادة رابطة إسلام المعرفة التي نشطت في هذا المجال كذراع شعبي يبشر بفكرة التأصيل ومفاهيمها، كما يطالب البحث بضرورة تشبيك كل المؤسسات والجهات العاملة في مجال التأصيل لضمان تناسق الجهود والبناء على ما سبق وعدم التكرار، كما يدعو البحث لجمع الجهود التأصيلية لعلماء السودان والرواد في هذا المجال، لتكون مرجعا مهما وعمليا في جهود التأصيل في العالم الاسلامي.

## المراجع:

- (1) أحمد علي الإمام، التأصيل مناهج الإصلاح والتزكية، ورقة قدمت في ندوة تقويم مسيرة وتطبيقات التأصيل الإسلامي في السودان، مركز التنوير المعرفي، الخرطوم، 2005م.
- (2) جعفر شيخ إدريس، الأجوبة الإسلامية عن الأسئلة الفلسفية، مجلة منار السبيل، العدد 8، رمضان 1414هـ الموافق فبراير-مارس 1993م.
- (3) جعفر شيخ إدريس، إسلامية العلوم وموضوعيتها. مجلة المسلم المعاصر، 1408هـ، العدد 13، 50، ص 16.
- (4) جعفر شيخ إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، ( لندن، منشورات مجلة البيان، ط1، 1422هـ، 2001م).
- (5) عبد الله الزبير عبد الرحمن، من جهود الشيخ الإمام أحمد علي الإمام في التأصيل، ورقة قدمت في المؤتمر العلمي العالمي الثاني ( تأصيل العلوم الواقع والتحديات)، أقامته جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، في

الفترة من 4 - 6 نوفمبر 2014م.

(6) محجوب عبيد طه ، أسس التأصيل الإسلامي في العلوم الطبيعية، العدد الأول، مجلة التأصيل، إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٩٤م.

(7) محجوب عبيد طه، حول أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية، العدد العاشر، مجلة التأصيل، إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2002م.

#### مواقع إنترنت:

(1) محجوب عبيد طه ، العلم الطبيعي والإيمان بالغيب، بحث منشور على موقع الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن والسنة، على الرابط:

Twenty-fifth- <http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/83-issue/853-Natural-science>

(2) محمد وقيع الله أحمد، مفهوم إسلامية المعرفة لدى الأستاذ الإمام جعفر شيخ إدريس، سلسلة مقالات منشورة على موقع سودانيز اون لاين، موقع إن نيوز عربية، على الرابط:

<http://www.inewsarabia.com/430>

(3) موسوعة ويكيبيديا، مصطلح أسلمة، على الرابط:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A>

9

مرجع باللغة الإنجليزية:

(1) (Jaafar S Idris, The Islamization of sciences: its philosophy and methodology. The American Journal of Islamic Social Sciences, (1987).